The motives of the Crusades from the perspective of Mordekha Hoffman

دو افع الحروب الصليبية من منظور مراد هوفمان

Assiri Ahmed Ibrahim*
Ahmad Faisal bin Abdul Hamid **

Abstract

The crusades that the Muslim world faced were motivated by multiple motives. According to Murad Hoffmann's perspective, she is motivated by defenders. The first: a religious motive, and the second: the motive of revenge against Islamic conquests. This article adopts a descriptive analytical approach in reviewing the Western motives of the Crusades against the Muslim world. We can conclude that religion is an important starting point in the Crusades, and that the Islamic conquests continue to be an influence for Westerners and therefore they do not spare any effort to try to take revenge on the Islamic world because of them.

الملخص

الحملات الصليبية التي واجهها العالم الإسلامي كانت تنطلق من عدة دوافع متعددة. ووفق منظور مراد هوفمان هي تنطلق بدافعين. الأول: دافع ديني، والثاني: دافع الانتقام من الفتوحات الإسلامية. وهذه المقالة تنهج المنهج التحليلي الوصفي في استعراض الدوافع الغربية للحروب الصليبية على العالم الإسلامي. ونستطيع أن نستنتج أن الدين يشكل منطلقاً مهماً في الحروب الصليبية، وكذلك أن الفتوحات الإسلامية لا زالت تشكل أثراً عند الغربيين ولذا فهم لا يألون جهداً في محاولة الانتقام من العالم الإسلامي بسببها.

الكلمات الدلالية: الحروب الصليبية-الفتوحات الإسلامية- هوفمان

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فلقد سبقنا إلى تدوينها الكثير من المؤرخين الإسلاميين والغربيين على حد سواء كما أن الدراسات والبحوث العربية والإسلامية المعاصرة قد تناولتها كثيرا خاصة على الصعيد التاريخي والتوثيقي لتلك الحروب والحملات ، وحسبنا أن نشير إلى أنها بدأت على يد البابا اوربان الثاني- في خطابه بكلير مونت (489هـ/1095م) الى التوسم بالصليب لإعطاء الجيش حامل الصليب قوة معنوية

* طالب دكتوراه في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية أكاديمية الدراسات الاسلامية بجامعة الملايا، هذه المقالة كتبت بالمشاركة بين الطالب ومشرفه وهي مستله من رسالة الدكتوراه، abha2002@hotmail.com

** أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا.

واندفاعاً حماسياً للتوجه الى بيت المقدس في طريق الموت ، فصورت الكنيسة هذا الطريق هو طريق السير على خطى السيد المسيح لتحقيق (مملكة الله) في الارض ومركزها القدس.[1]

و كانت الحرب الصليبية الأولى بقيادة بطرس الناسك بتحريض من رجال الدين لاحتلال بيت المقدس، ثم جاءت الحرب الصليبية الثانية عام 541هـ بقيادة ملك ألمانيا، والثالثة كانت عام 585هـ بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا، وفيليب ملك فرنسا بحجة استعادة بيت المقدس بعد الانتصارات التي حققها البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي، ثم كانت الحرب الصليبية الرابعة عام 594هـ بقيادة أمراء فرنسيين انتهت بالفشل، أما الحرب الصليبية الخامسة فكانت عام 615هـ، ثم السادسة عام 625هـ بقيادة ملك ألمانيا انتهت بتسليم بيت المقدس إلى الصليبيين، والحرب الصليبية السابعة كانت عام 637هـ، أما الحرب الصليبية الثامنة فهي الهجمة الصليبية مع بداية القرن المنصرم والتي يسميها الغرب الاستعمار والتي من خلالها تم تدمير الخلافة الإسلامية وتفكيك العالم الإسلامي إلى دويلات متفرقة .[2]

واستمرت الحروب الصليبية قرنين من الزمان (495–692هـ/ 1095 –1290م) ولم تنته بانتصار حاسم للمسيحيين الصليبين، بل انتهت غالب تلك الحملات بالهزيمة العسكرية الساحقة وكان ذلك على يد الدولة الإسلامية بقيادة عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي.

ومما يجدر التنبيه له أن مصطلح الحروب الصليبية لم يظهر في بدايات الحروب الصليبية بل كانت تسمى في بدايتها الحروب المقدسة ولكن فيما بعد وما اشتداد الصراع الأوربي العثماني وما شكلته الدولة الثمانية من تهديد كبير لأوربا فنتيجة لذلك أثار فيهم الحماس الديني من جديد ووجدوا في (الصليب) رمز ديني يجمعهم من جديد كما جمعهم في الحروب الصليبية ضد المسلمين.[3]

وسيكون حديثي في هذه المقالة عن الدوافع الغربية للحروب الصليبية من خلال رؤية مراد هوفمان وذلك من خلال مطلبين.

المطلب الأول: الدافع الديني.

المطلب الثاني: دافع الانتقام من الفتوحات الإسلامية.

نبذة تعريفية عن مراد هوفمان:

ولد مراد هوفمان في عام ١٩٣١م في أشافنور في المانيا واسمه كاملاً Murad Wilfried Hofmann وحين أسلم اختار لنفسه اسم مراد فريد. بدأ حياته العملية في المحاماة [4] ثم انتقل الى وزارة الخارجية الألمانية عام ١٩٦١م حيث شغل منصب مدير المعلومات في حلف شمال الأطلسي من عام ١٩٨٣ إلى ١٩٨٧م"5". وأخيرا عمل سفيراً في المملكة المغربية من عام ١٩٩٠م حتى تقاعده من وزارة الخارجية عام ١٩٩٤م"6".

وهناك الكثير من الدراسات التي تعرضت لمراد هوفمان وجهوده في الدفاع عن الإسلام في الغرب من مطبوعات مكتبة الشروق للدكتور حلمي علام وهو بحث منشور عن طريق مكتبة الشروق المصرية وهو بحث جيّد فيما يتعلق بجهود مراد هوفمان في الدفاع

---

[1] أنظر: ابراهيم صقر الزعيم، محمد رسلان، أحمد فيصل عبد الحميد "جهود مسلمي ومسيحي القدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1917-1948م، مجلة المقدمة 2016م. http://umijms.um.edu.my/public/article-view.php?id=9326

[2] انظر: زكرا: سهيل (الحروب الصليبية) .2 مج. .دمشق: دار حسّان, 1401هـ/1984. وانظر أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى. .2 مج. .ط 6. .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية, 1994م.

2 انظر: الوذنياني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية والغزو الفكري عام 1327م– 1924م، ط2 مطابع جامعة ام القرى، (مكة المكرمة، 2003)، ص 172

[4] هوفمان، مراد، الرحلة إلى الإسلام، يوميات ألماني مسلم ص ٥٣. وأنظر أيضا: عبد الرحمن، أحمد جاذبية الإسلام الروحية ص 22

أنظر: عبد الرحمن، أحمد، جاذبية الإسلام الروحية ص [5]٨٢

المصدر السابق، نفس الصفحة.[6]

عن الإسلام من خلال إبراز أهم عناصر قوة الحضارة الإسلامية وفضلها على الحضارة الغربية المعاصرة ولكنّه لا يتعرض لموضوع دراستنا وهو مشاكل المسلمين في الغرب على وجه التحديد.

وأيضا حوار مع المفكِّر الألماني "د. مراد هوفمان" حول: الإسلام والاضطهاد الغربي

أجرى الحوار/ جمال سعد حاتم لمجلة التوحيد المصرية، عدد ذو الحجة 1417، ص 46 وقد تحدث فيه المحاور مع مراد هوفمان حول الصعوبات التي تواجه المسلم في المانيا وأوربا عموماً، كما تحدث عن بعض صور الاضطهاد التي يتعرض لها بعض المسلمين في أوربا ووضع الأقليات هناك.

وهذا الحوار سلط الضوء عل بعض الجوانب المتعلقة بالحضارة الغربية ولكنه مختصر جدا وكان مثل الاشارات الصحفية العابرة وليس دراسة علمية تفصيلية.

أولا: الدافع الديني.

إن الدارس للعقل الغربي يجد أن العقل الجمعي الغربي ينطلق في كثير من الأمور من منطلق ديني بحت ويقابل هذا التفكير الديني عقل عملي غير متدين، فالغربي لا يمارس الشعائر الدينية بشكل منتظم لكنه في المقابل يركن كثيرا في تفسيراته إلى الدين وهو يرتكز في ذلك إلى عمق تاريخي قديم في الغرب حيث التفسير الكنسي لكل شيء يتعلق بالحياة أو المصير بعد الموت.

ومن هذا المنطلق فإن الدافع الديني يعتبر دافعاً أساسياً في تلك الحروب يقول هوفمان مؤكدا هذا الدافع الذي يوافقه فيه الكثير من الباحثين "لم بتعامل الفرسان الصليبيون مع الإسلام على أنه دين آخر، بل على أنه خروج على المسيحية، وابتعاد عن تعاليمها الأصلية يجب محاربته بكل الطرق ـ حتى أبشعها ـ والتي شملت كل الفظائع وحمامات الدم وَشَىّ أطفال المسلمين، بل وأكل لحومهم "وفق مراجع تاريخية غربية" عندما اقتحموا كلاً من القدس (1099) ودمياط (1219). [1]

إننا لا نتجنى على الحضارة الغربية حين نقول أن الدين يكون مسيطرا عليها وعلى ردّة فعلها حين يكون الخصم هو الإسلام فهي تبرر لحروبها وصراعاتها غالبا بالمصالح العسكرية أو المصالح الاستراتيجية أو الحدود الجغرافية ، رأينا هذا في الصراعات الأوربية الداخلية في القرون الوسطى ، ورأينا ذلك في الحربين العالميتين الأولى والثانية حيث كان الصراع مع اليابان مثلا هو صراع قائم على السيادة أما الخلاف في المقابل مع الدولة العثمانية فهو خلاف ديني عقدي يستحضر فيه الإسلام وأنه هو الخصم وليست الكيانات السياسية أو الدول ذاتها بعيدا عن ديانة شعوبها .

يقول الدكتور علي النملة: "الحروب الصليبة كانت تحمل شعارات الإغراء الديني قبل الدنيوي، مما يؤكِّد على أن الدافع الأول لهذه الحملات المتتابعة كان دينيًا، ثم تأتي الدوافع الاقتصادية والسياسية بعد ذلك. وهي دوافع غير مغفلة، ولكنها ليست الدوافعَ الأساسيةَ لهذه الحملات، وإن استغل الحُكّامُ رجالَ الدين في الحروب الصليبية، فإن رجالَ الدين، أيضًا، قد استغلوا الحكام.

والتقى الجميع مع التُّجَّار في تأجيج هذه الحملات، وصاحبها نوعيةٌ خاصة من الناس ممن لفظهم المجتمع الغربي، فبحثوا عن البديل في أرض السمن والعسل، في أرض الميعاد، ولكن هذه الفئة كانت قليلة" [2]

ومع انتهاء هذه الحروب الصليبية لم ينته الشعور بها، فلا تزال تذكر و تردّد سواء بسواء بين المسلمين والنصارى، فمن القيادات النصرانية الحديثة غورو الذي وضع قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".[(3)]

والجنرال اللنبي كان يقول بعد الدخول إلى القدس: "الآن انتهت الحروب الصليبية".[(4)] بل إن قائد صرب البوسنة رادوفان كاراديتش قال :"لو كان الأمر لي لما توقفت إلا في مكة" وكذا الحال في الحرب ضد المسلمين في كوسوفا.

---

[1] هوفمان: مراد (مستقبل الإسلام) ص76

2النملة: على (لإسلام والغرب) ص 35

(2) انظر: جلال: العالم. قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام، أبيدوا أهله. ط 9. القاهرة: دار السلام, 1399هـ/1979م. ص 33.

(1) انظر: صالح مسعود أبو نصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن. بيروت: دار الفتح, د.ت. ص 65.

وأخيرا فقد صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن يوم الاعتداء على مركز التجارة العالمي في 2001/9/11م الموافق 1422/6/23هـ واضطر بعد ذلك إلى لاعتذار، وقام بزيارة المركز الإسلامي في واشنطون،تعبيرًا عن أسفه عن الإساءة لمشاعر المسلمين.[1]

والعقل الغربي لم يتوقف إلى الآن في تفسير كل صراع مع العالم الإسلامي بأنه صراع ديني تقول مادلين اولبرايت وزيرة الخارجية في إدارة كلينتون إلى وصف الدين وأثره في الحياة السياسية الأمريكية بقولها "غالباً ما اسأل نفسي لماذا لا نستطيع إبقاء الدين بعيداً عن السياسة الخارجية؟ وجوابي: هو أننا لا نستطيع ولا ينبغي لنا ذلك، فالدين جزء كبير مما يحفز الناس ويشكل آرائهم في السلوك العادل والصحيح، ويجب أن يحسب له حساب، لا يمكننا أن نتوقع من قادتنا اتخاذ القرارات بمعزل عن المعتقدات الدينية ".[2]

يقول مثنى فائق مرعي العبيدي :"احتل الدين موقعاً متميزاً ومتزايد الأهمية في حياة الأمريكيين حتى ان المواطن الامريكي أصبح يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية لا بصفته مواطناً أمريكياً علمانياً ، بل بصفته بروتستانتياً أو كاثوليكياً ، أو يهودياً أو مسلماً ، بحيث تؤدي الدوافع الدينية دوراً رئيساً في تحريك الأمريكيين في الكثير من مواقفهم[i] ، كقضية دعم إسرائيل والحرب على ما يسمى بـ"الإرهاب" والحرب على العراق ، حتى وصل الحد إلى ذكر نماذج التدين الشائع بين الأمريكيين العاديين وربط تدينهم بمواقفهم المؤيدة للحرب على العراق ، كونها -بحسب معتقداتهم- حرباً مقدسة لابد ان يحالفهم النصر فيها، وبذلك حظيت الحرب الامريكية على العراق بتأييد شعبي كبير وبشكل خاص من قبل معتنقي المذاهب البروتستانتية والكاثوليكية التي تشكل القطاع الأوسع من المجتمع الامريكي، فاستطلاعات الرأي تشير إلى إن نسبة 50% من الأمريكيين أيّدوا قرار الحرب على العراق وازدادت تلك النسبة إلى حوالي 60% بعد الاحتلال الامريكي له".[3]

يقول هوفمان مؤكداً لهذا المعنى وهو الذي خبر العقلية الغربية جيدا "مازالت العقلية التي نتجت عن الحروب الصليبية تشكل وتحدد العلاقات المشتركة بين الغرب والإسلام. لقد أثبت كل من Norma Daniel في كتابه الذي يبعث على الاكتئاب "Islam and the West_ Making of Image" وClaude Cohen في كتابات عن تاريخ الحروب الصليبية ، أن آباء ومؤسسي فكرة الحروب الصليبية استعانوا لإشعال الكره ضد كل ما هو إسلامي ـ خاصة ضد محمد ـ استعانوا لتحقيق هذا بحملة متقنة لنشر للتذكير بكل ما هو إسلامي وحجب كل المعلومات الصحيحة ، ونشر معلومات مغلوطة بين الناس".[4]

ثانيا: دافع الانتقام من الفتوحات الإسلامية

لقد تركت الفتوحات الإسلامية جرحا غائرا في الوجدان الغربي خاصة حين استولى المسلمون على بيت المقدس التي تتمتع بمكانة دينية خاصة لدى الغرب المسيحي وهو ما استغلّته الكنيسة لتأجيج الشعوب الغربية بالتأكيد على أهمية الحج إلى هناك وهو ما أشرنا اليه في الدافع السابق.

ويمكننا التأكيد أيضا على دافع لتلك الحملات الصليبية لا يقأ تأثيرا عن الدافع الأول ألا وهو روح الانتقام التي سيطرت على العقل الأوربي في تلك الفترة تحديدا وهو ما أشار إليه الكثير من المؤرخين الغربيين في العصور المتأخرة حيث أن الكثيرين منهم رأوا أن الحروب الصليبية كانت ردّة الفعل العكسية الصحيحة على الفتوحات الإسلامية التي كانت توصف دائما بأنها "حروب صليبية " في بحسب تسمية بعض الغربيين لها قصدا حيث يرون أنها أهانت الصليب.

---

(2) انظر: جون ل. إسبوزيتو. الإسلام والغرب عقب 11 أيلول/سبتمبر: حوار أم صراع حضاري، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, 2003م. ص 17.

[2]مادلين اولبرايت، الجبروت والجبار – تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية، ترجمة عمر الأيوبي، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص 242-243.

[3]العبيدي: فائق. البعد الديني في الحرب العراقية الأمريكية ص27

[4]هوفمان: مراد (مستقبل الإسلام) ص37

وقد أشار فولتيير وغيره من المؤرخين الغربيين أن الغرب كان لابد له من أن يوقف هجمات المسلمين على أوروبا وأن ينقل المعركة إلى داخل الأراضي الإسلامية للثأر مما ألم بالكنيسة والغرب من عار.[1]

وخير دليل على تأكيد هذا الدافع في الحملات الصليبية هو الاعتذار الذي قام به البابا يوحنا الثاني بالاعتذار عما قام به الصليبيون من روح العداء والانتقام ـ التي لا تناسب عقيدة المسيح المخلص ـ خلال هذه الحروب في ذكرى يوم الغفران عام 2000 م بقوله "نطلب الصفح عن الانقسامات في صفوف المسيحيين واستخدام العنف الذي لجأ إليه بعض المسيحيين لخدمة الحقيقة والسلوك العدواني الذي اعتمد إزاء أتباع الديانات الأخرى في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ضد المنشقين" [2]

ولذا فإن جيمس روسيون يضع الحروب الصليبية في مساواة مع الجهاد الذي قام به المسلمون خلال فتوحاتهم، ويصف الصليبيين والجيوش الإسلامية بأنهم قاموا بذلك باسم الله وبذلك فان الجهاد والفتوحات الإسلامية لا تختلف عن الحملات التي قام بها مسيحيو أوروبا في العصور الوسطى. [3]

يقول مراد هوفمان مؤكداً هذا الهدف "فلقد بدأوا مسيرتهم الخطرة إلى المدينة المقدسة بحملة اضطهاد لليهود في منطقة الراين. وعندما وصلوا إلى المدينة المقدسة واستولوا على القدس عام 1099، سالت حمامات الدماء فيها أهلها بشكل وحشي لا يمن تخيله حتى يومنا هذا. أما في عامي 1403 / 1404 فنهبوا مدينة القسطنطينية المسيحية الشرقية وعاثوا فيها فساداً، لاعتقادهم أنها مدينة خارجة عن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، ولم تشهد مدينة إستنبول المسيحية قبل التاريخ أو بعده أضراراً وأهوالا كالتي لاقتها على أيدي الفرسان الصليبيين). [4]

وبعد هذا العرض للحروب الصليبية من خلال رؤية مراد هوفمان نخلص الى نتائج مهمة وأساسية أهمها:

* الغرب في غالبه مجتمع غير متدين ولكنه يستحضر الدين في صراعاته مع العالم الإسلامي فقط وذلك لأن الدين الإسلامي هو الخطر الحقيقي الذي هدد وجوده تاريخياً وهو الخطر القادم كما أشار الى ذلك صموئيل هوننتيجون في كتابه صراع الحضارات وغيرها من المؤلفات التي تكرس العداء مع الدين الإسلامي.

* الغرب تشكّل له الفتوحات الإسلامية ذكرى سيئة وكان لها آثارا وخيمة امتدت إلى عدة قرون من التخلف الغربي والتقدم الإسلامي ولكن الغرب تعافى منها سريعاً وبدأ نهضة علمية نرى آثاراها تمتد إلى الواقع المشاهد فإن الحروب الصليبية أيضا تشكّل للمسلمين ذكرى مؤلمة لم يستطع العالم الإسلامي الاستفادة منها ولم تستطع تلك الأزمة أن تخلق عقلا اسلاميا جبارا يحاول النهوض والعودة لما كلن عليه من تقدم وازدهار

المراجع:

- ابراهيم صقر الزعيم، محمد رسلان، أحمد فيصل عبدالحميد "جهود مسلمي ومسيحي القدس في التصدي للمشروع الصهيوني 1917-1948م ، مجلة المقدمة 2016م. http://umijms.um.edu.my/public/article-view.php?id=9326
- مجلة الرائد العدد: 209 الموافق في محرم 1420هجري 5 / 1999 ميلادي
- محمد أسد، كتاب: "الطريق إلى الإسلام"، ترجمة عفيف البعلبكي، الطبعة التاسعة 1418هـ =1997م مكتبة العبيكان، الرياض،
- هوفمان، مراد، ط، الأولى " الإسلام عام 2000 "

[2] المرجع السابق ص38

3 انظر: جيمس روسيون (مقاتلون في سبيل الله) ص54

[4] هوفمان: مراد (مستقبل الإسلام) ص40

- هوفمان، مراد، يوميات ألماني مسلم، ط الشروق 2004 م. ط الثالثة.

- هوفمان مستقبل الاسلام ط دار العبيكان، 2009 م. ط الثالثة.

- زكار: سهيل (الحروب الصليبية). 2 مج. . دمشق: دار حسّان, 1401

- سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى. . 2 مج. . ط 6. . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية, 1994م.

- الوذنياني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية والغزو الفكري عام 1327م– 1924م، ط2 مطابع جامعة ام القرى، (مكة المكرمة، 2003) ، جلال: العالم. قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام، أبيدوا أهله. . ط 9. . القاهرة: دار السلام, 1399هـ/1979م. . ص 33. صالح مسعود أبو نصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن. . بيروت: دار الفتح، د.ت. . ص 65.

- جون ل. إسبوزيتو. الإسلام والغرب عقب 11 أيلول/سبتمبر: حوار أم صراع حضاري، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, 2003م. . ص 17.

- مادلين اولبرايت، الجبروت والجبار – تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية، ترجمة عمر الأيوبي، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص 242-243.